الطلاق .. هذا الشبح المخيف

الشيخ سليمان المدنى:

لا علاقة للطلاق بالزواج المبكر

صديق لم أره منذ فترة طويلة ، عرف عنه هدوء طبعه ودماثة خلقه ، وميله الى الاستقرار ، التقيت به صدفة فى فناء المحكمة ، آيات الحزن والكابة ترتسم على وجهه بوضوح بدأت معه الحديث بعد أن تبادلنا التحية ، وبدأ صاحبى حديثه قائلا : تزوجت قبل تسعة أشهر وليتنى لم أتزوج ، فقد بدأت حياتى الزوجية سعيدا مع الزوجة التى أحبها وأخلص لها .. تركتها تعيش فى بيت أبيها فترة بعد الزواج ، بعد ذلك طلبت منها أن تنتقل الى بيتنا الذى استأجرته حديثا ، رفضت ووقف أبوها الى جانبها مصعدا بذلك حدة التوتر ، فهو يريد أن تبقى معه لانه يعيش وحيدا ، لكننى أرفض ذلك ، فهو يترك البيت فى الصباح .. وتبقى هى وحدها فى البيت فكيف أطمئن على زوجتى وهى تعيش بعيدا عنى ..

وفى المحكمة ، نصحنى القضاة بطلاقها ، حيث انها لم تعد راغبة فى مواصلة الحياة معى ، لكننى اشترطت ان تعوضنى نفقات الزواج فأنت تعرف كم يكلف الزواج الان .. وليس بوسعى ان اتزوج من اخرى بسهولة .

ومما زاد الطين بلة هو انها سافرت مع ابيها الى احدى الدول المجاورة الشقيقة وبدون اذن منى !! وانا الان حائر لا اعرف ماذا افعل ..

انتهى الشاب الهادىء من سرد قصته الكئيبة ، لتبدأ الاسئلة تدور فى رأسى ، ترى كيف يحدث الطلاق بين شابين تزوجا قبل تسعة اشهر ، وكان الزواج تتويجا لحب بين الطرفين ؟ .

الطلاق .. هذه المأساة .. كيف تتم بمجرد ان يقع خلاف بسيط .. قد ينتهى بتضحية بسيطة من احد الطرفين ؟ ..

هنا دفعنى التعرف على خلفيات اكثر حول القضية التى تسبب دائما الشقاق والانفصال والفراق .. :

وواصلت جولتى فى فناء المحكمة .. الالتقى بشاب اخر .. كان غاضبا مزمجرا ومصرا على الطلاق بينما يحاول احد أقاربه ان يهدئه من ثورة الغضب التى استولت عليه دون جدوى .

سألته : لماذا الطلاق ؟ .

● الشيخ سليمان المدنى ●

واجاب : لقد حاولت ان أجد مبرر للتفاهم معها ، لكن جهودى ذهبت كل هباء .. لقد استمرت تلك الجهود عدة سنوات ، فماذا افعل .. صحيح انا انجبنا خمسة اطفال .. لكننى لا استطيع ان أتحمل المزيد من المرارة .. والاولاد اتركهم لربهم يتكفل بهم .

ـ بعد ذلك انضم الى ذلك القريب المصلح فى محاولة لتهدئة هذا الغاضب المزمجر دون جدوى . فهو مصر على الطلاق ، وان تسبب ذلك فى ضياع الام والاطفال .

وتحاشيت ان أسأل هذا الغاضب .. لكننى من خلال حبى فى التعرف اكثر واصلت .

واستمر فى جولتى فى المحكمة وشبح الطلاق يلوح فى الفناء ، وقد انفرد كل شخصين أو ثلاثة فى زاوية .. وكل يدعى ان الحق فى جانبه .

والتقى بمواطن اخر ذكر اسمه رموزا (س . ١٠ ع) قال :

بدأت حياتى الزوجية سعيدا وزوجتى تعمل لدى احدى المؤسسات الخاصة ، تعاهدنا على ان تتفاصل عن العمل بعد الزواج ، لكنها لم توف بوعدها فأخذت تماطل ، بعد الزواج قالت لى انها تحس بالملل والفراغ فى البيت وانها ستترك العمل بعد ان تنجب مولودا يملأ عليها فراغها .

وانجبت المولود .. ظننتها ستوفى بوعدها هذه المرة لكنها اصرت على الاستمرار فى العمل ، اردت ان اكون حازما معها وخيرتها بينى وبين العمل لكنها اصرت على موقفها مدعية ان

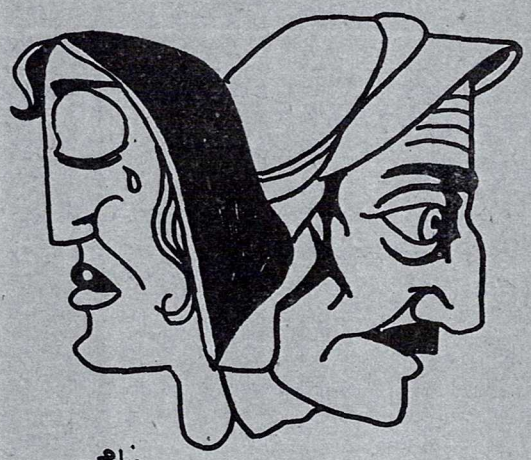

مناهي

احاول السيطرة عليهـــا والتحكم فى مستقبلها ·· ونسيت الوعد الذى قطعته على نفسها وانا بصراحة ، صـــاحب مبدأ ولا اقبل ان تستمر فى العمل ·

أما أ· ى· أ· فيقول :

زوجتى تحاول دائما اهـــانة امى وتنتقص منها امامى ، حذرتها من ذلك مرارا ، لكنها لم ترتدع ، بل انها طلبت منى ان اترك البيت الذى نشأت فيـــه طلبت منى ان اترك والدى ووالدتى وان اسكن معها فى بيت مؤجر ، رفضـــت طبعا · واستمرت هى فى عنادها ، فما كان منى الا ان هددتها بالطلاق لاننى لست مستعدا للتضحية بوالدتى من أجل امرأة ·

بعد ذلك التقى بالطرف الاخر·· المرأة ·· ماذا تقول ، فالطلاق شبح مخيـف وهو نهاية مؤلمة لزواج غير ســعيد ، والضحية دائما هى المرأة والاطفـــال ، لان الطلاق بالنسبة للرجـــل لا يعنى الضياع · لكنه بالنسبة للمرأة ·· دخول فى عالم مجهول ومغامرة لا تعـــرف نهايته · وقد يعنى فى اغلب الاحيـــان الضياع ·

لعن الله الخمرة :

الاخت س· ج· ح ، تقول : لقـــد خدعونى حينما قالوا لى انه شاب مستقيم فقد اكتشفت بعد الزواج انه يشـــرب الخمر ·· نصحته حتى سئمت وايقنت ان لا جدوى من النصح والحمد لله اننى لم انجب منه اطفالا ·· اخيرا طلبت منه الطلاق ، ورفض طبعا وكان رفضه قاطعا والاغرب من ذلك انه يدعى حبى ويريد ان يتمسك بى لكننى ارفض العيش مع رجل سكير ، انه لا يرجع البيت الا بعد منتصف الليل ولا يفيق من الســكر الا قليلا ·

قل لى بربك ماذا أفعل ؟ ·

أما الاخت ح· م· ع ، فتقول :

ان والدة زوجى غليظة الطباع ·· تضايقنى دائما ·· حتى عندما تزورنى احدى صديقاتى فانها تحاول ان تبـرز شخصيتها وتهيننى ·

كذلك فانها تحاول مجاراتى فى جميع الاشياء تريد ان تلبس كمـا البس وان تحصل على كل شىء احصل عليه مـــع العلم بأننى موظفة واساعد زوجى فـــى مصروف البيت ، كما اننى انفق عـــلى نفسى ، وسامح الله زوجى فقد وقف الى جانب امه فكان ينهرنى دائما ، ويدعى اننى أكرهها ، لذلك فقد طلبت الطلاق وتنازلت عن جميع حقوقى واعتقد ان ذلك خير لى من العيشـــة التى هـــى كالجحيم ·

والطرح علـــى الاخت ح· م· ع ـ سؤالا :

ألا تخافين من مرحلة ما بعد الانفصال (أى الطلاق) ؟ ·

وترد : لقد حاولت ان أصلح الوضع ولم استطع وانا أدرك تماما ماذا يعنى الطلاق ، كما اننى اعرف نظرة المجتمع الى المطلقة ·· لكن صدقنى ان احـدا لن يلقى اللقمة من يده الا اذا شـــعر بألم الحرارة ·

الاخت ب· ا· م ، موظفة فى احدى الشركات تقول :

كان زوجى مثال الزوج الصالح يلبى طلباتى ويعود الى البيت مبكرا فى المساء ·· حتى تعرف على بعض رفاق السوء فأصبح لا يعيرنى ادنى اهتمام ويغضب لاقل كلمة اقولها له ·· كما بدأ يشرب الخمر ويعود متأخرا فى الليل ·· طلبت من بعض الاقارب ان يتوسطوا لديـــه دون جدوى ، نصحته مرارا وتكـــرارا دون فائدة ·· واخيرا لم يبق امامى الا ابغض الحلال ·· رغم اننى انجبت منـه طفلة بريئة ·· لكن الله لا يضيـــع احدا ·

والتقيت بالاخت ر · ع · وهى موظفة أيضا · تقول :

لقد تزوجته بعد حب ملك على كـــل مشاعرى حتى صرت لا أرى غيره فى هذه الدنيا ·· ساعدته فى تأثيث البيت ··كنت أدفع له المرتب كاملا تصور ·· لكن بعد أن اكمل التأثيث واستقر ، اكتشفت انه على علاقة باحدى الفتيات التى يعمـــل معهن ·· ماذا تتصور ؟ ·

طبعا كفرت بالناس ، وايقنت انـــه ليس هناك من يعرف الحب ، فبعد هذه التضحية يهب قلبه لفتاة اخرى ؟

وتطلق الاخت ·· آهة تسبقها دمـــوع ساخنة ·· وتقول :

خسارة ··

فلن أحب بعد اليوم · ·

تلك هى عزيزى القارىء بعض قصص الطـــلاق ، وهى مهما بلغت أسـبابها الا انها فى الاخير تعنى تدميرا لكيان الاسرة وتعريضا للاطفال الابريـــاء للضياع ، كما ان تفكك الاسرة ينتـــج للمجتمع عناصر معقدة ·· ربما تحقد على المجتمع ، لانها عاشت بعيدة عن الحنان والعطف نتيجة لجو البغضاء الذى الفته ·

وبعـــد تلك الجـولة التقيت بفضيلة الشيخ سليمان المدنى الاعرف منه بعـض الامور المتعلقة بهذه الظاهرة الخطيـرة والتى تعتبر بمثابة الداء الذى يعصف بكيان المجتمع ·

وقد حاولت فى البداية ان اعـــرف من فضيلته نسب الاعمـار التى يتم فيها الطلاق ·· فقال :

لايكاد الطلاق ينحصر فى عمر معينة ، ولكن معظم ما تقع من حالات الطـــلاق بين الشباب خاصة بين سنى ٢٠ ـ ٣٥ سنة ·

وهذا يعود فى الحقيقة الى الحيـــاة والعلاقات الاجتماعية المضطربة اكثـــر مما يعود الى العمر ·

قلت للشيخ سليمان : الا تعتقـــد

– فضيلتكم – بأن هناك علاقة بين الزواج المبكر والطلاق ؟ .

ويجيب فضيلته : لا علاقة للطلاق بالزواج المبكر اذ ان اصطلاح الزواج المبكر اصطلاح غير محدد لا علميا ولا اجتماعيا والعبرة فى هذه القضية انما يعود الى النضج النفسى وطرق التربية ونوع التصورات والافكار التى كونت الحلم عن قرين المستقبل ومدى ارتباطها بالواقع فالفتاة المتوسطة التعليم أو راقية التعليم أو الامية تكون لنفسها هدفا مستمدا من التصورات وتشكل هيكلا حياتيا تسعى الى تحقيقه عن طريق الاقتران وكذلك الشاب من الناحية الاخرى يكون لنفسه مثل هذا الهيكل ومثل هذا الهدف الحياتى الذى يسعى الى تحقيقه فى الحياة الزوجية ، وربما كان هناك بون شاسع بين ما يصبو اليه الزوج وبين ما تصبو اليه الزوجة مما يسبب لهما مشكلة عدم التوافق وهى تبدأ كحالة نفسية الى ان تظهر على السطح فتكتسب الوجه الاجتماعى وفى الغالب تكون هذه الاهداف قد تكونت ، نتيجة لتصورات خيالية أو لممارسة حياتيه وتفاعل اجتماعى سابق على الزواج وعندما يأتى احد الشريكين الى الحياة الجديدة ويعجز عن التكيف مع شريكه بسبب التصورات التى وجدها تتحطم على صخرة الواقع الجديد ، تبدأ الشقوق والانشراخات فى العلاقة الزوجية وغالبا ما تؤثر الافكار الحضارية المتعمقة من دون تمعن فى مثل هذه الحالة .

قلت للشيخ سليمان : وما هى علاقة الطلاق باختلاف جنسيات الازواج ؟ .

ويجيب فضيلته : لا شك ان للطلاق علاقة كبيرة اما من حيث التماسك أو الضعف فى حالة الزواج بالثقافة الاجتماعية والحضارية التى يحملها الزوجان وقد بينا فى بحثنا (العائلة) بأن العائلة الجديدة التى تنشأ عن طريق الزواج تضم ثقافتين متباينتين ومتمايزتين وان كلا من هاتين الثقافتين تسعى لفرض نفسها واحتواء الثقافة الاخرى ، فاذا حدث ان صار احد الزوجين اضعف من الاخر من حيث تعلقه بالعادات والمواضعات التى ورثها من عائلته السابقة .. أو رأى فى ثقافة الشخص الاخر اغراء فان التوافق بين الزوجين يمكن ان يتحقق بل ربما يكون هذا العامل من العوامل التى تزيد الزواج قوة وتماسكا ، أما اذا كان كل منهما – وهذا ما يحصل فى الاغلب – يتمسك بتركته الاجتماعية ويبقى عنيدا لفرضها فان هذا التمسك مع اختلاف هذا التراث الاجتماعى يكون من العوامل الهادمة للحياة الاجتماعية وبالتالى المسببة للفرقة والطلاق .

واردت ان اعرف من فضيلة الشيخ سليمان نسبة الطلاق بين النساء العاملات .. فأجاب فضيلته :

ان عمل المرأة خارج محيط البيت أو خارج المحيط النسائى لا يمكن لاحد ان ينكر انه من الاسباب الرئيسية التى سببت وجود كثير من المشاكل الزوجية الا انها يجب ان تبحث ضمن تأثير العامل الاقتصادى وليست عاملا مستقلا عن الناحية الاقتصادية ، كما انها يمكن ان تبحث ضمن العامل الحضارى فان اختلاط المرأة برجال الاخرين فى مكان العمل وتكوين صداقات وعلاقات لابد وان تحصل لارتفاع الكلفة نتيجة الاختلاط الطويل وكذلك اختلاط الرجل بالفتيات والنساء العاملات معه مدة طويلة تؤدى الى قيام علاقات وصداقات وترتفع الكلفة بينه وبينهم مما يسبب كثيرا من المشاكل الزوجية التى توصل فى اغلب حالاتها الى الطلاق .

ومن الناحية الاقتصادية ايضا فان كثيرا من النساء العاملات اصبحن غير راغبات بالاعتراف بزعامة الزوج ورئاسته طالما انهن يشاركن وربما مشاركة فعالة فى بعض الاحيان فى تمويل العائلة ، مما يؤدى الى وجود التعقيدات التى قد تؤدى الى الطلاق .

● أما نسبة الطلاق بين النساء غير العاملات فيقول الشيخ سليمان ! لا استطيع القول بأن النسبة بين النساء المشتغلات فى البيت والمقتصرات على تربية اولادهن بأن نسبة الطلاق بينهن تصل الى نسبة الطلاق بين النساء اللواتى يعملن خارج المنزل ولكن لا يعنى هذا ان الحياة فى مثل هذه العوامل خالية من المنغصات مائة فى المائة طالما ان التلفزيون والسينما المصغرة قد نقلت اليهن الاطروحات الجديدة فى الاخلاق .

وللطلاق كما قلنا اسباب عديدة ، قد تكون وجيهة ، وقد تكون تافهة .. لذلك فقد وجهت هذا السؤال الى فضيلة الشيخ سليمان ، والجاب اتفه سبب) وهو يتكرر كثيرا اولئك الذين يؤمنون بفترة الخطوب ويمدونها اشهرا أو سنين بعد العقد فانه أو انها لا تستطيع ان تعيش الطرف الاخر وانه جربه بما فيه الكفاية . !!

أما أوجه سبب للطلاق هو ان يكون احد الزوجين متهما فى نظر الاخر مشكوكا فيه من الناحية الخلقية لتعاطى المسكرات ..

بعد ذلك يوجه فضيلة الشيخ سليمان المدنى نصيحة قد تساهم فى الحد من نسب الطلاق .. فيقول ..

للحد من نسب الطلاق علينا الالتزام بأحكام الله ونبذ التصورات الخيالية أو التى تقوم على مشاهدة أقوام يعيشون حضارات اخرى .

كذلك ، منع الخمر وتخصيص دورات فى الدوائر والشركات والمؤسسات خاصة بالنساء ومنع العرى واظهار المفاتن فى وقت العمل .

بعد ذلك نقول :

ان ابغض الحلال عند الله الطلاق وان استقرار المجتمع وازدهاره يأتى نتيجة لاستقرار العائلة وازدهار حياتها وعلينا ان نبدأ جادين فى توفير الظروف التى تكفل استقرار الاسرة وتجنبها الاضطرابات ..

فاذا ما استطعنا توفير تلك الظروف نكون قد نجحنا فى بناء مجتمع قوى متماسك .

واخيرا حكاية الطلاق حكاية طويلة .. ولها جوانب متشابكة ومتعددة وتختلف فى حدوثها باختلاف مسبباتها .. انها بالاخرى مشكلة .. مشكلة كأداء فادحة .. كلما حدثت تركت آثارا سيئا وخلفت وراءها ضحاياهم فى الغالب أولئك الاطفال الابرياء الذين لا يدرون ما الغاية ؟ .

ولكن ما الحيلة ؟ وبماذا يمكن ان ندرأ عن انفسنا وعن مجتمعنا مأساة هذه المشكلة ؟ لا شىء يمكن الاعتماد عليه فى هذا الصدد سوى الاهتمام اولا واخيرا بحسن الاختيار فى حالة الاقدام على الزواج وان نكون كزوج وزوجة واقعيين مع انفسنا وان لا تجرفنا العواطف التى سترعان ما تجعل حياتنا الى جحيم وتهدم ذلك الحب الذى بنيت عليه الامال وعندها نكون كمن جنى على نفسه وعلى غيره .

أحمد طاهر